



في هذا العدد

نزف الهجرة

"هجرة جماعية" او "موسم الهجرة" ... مسميات تتفنن في اطلاقها وسائل الاعلام المحلية والاقليمية والدولية على المشهد اللبناني الذي تتسابق فيه، في واقع الحال، الاحداث الامنية والسياسية في دائرة الانهيار الاقتصادي التي تتوسع مفاعيله يوميا.

انها نهاية العام 2021. اكتظاظ في دوائر الامن العام سعي الى تحصيل جواز سفر، ومواكبة يومية لوسائل التواصل الاجتماعي وصفحات الاعلانات الإلكترونية بحثا عن فرص عمل، وتجميع ما تيسر لتوكيل ودفع نفقات محامي الهجرة، والهروب الى البحر في المجهول على سفينة النجاة المهترئة تستطيع الوصول الى شاطئ امان.

ليس مبالغة القول ان هجرة الـ2021 شبيهة بهجرة الـ1860 وربما بالـ1920 او بالثمانينات من القرن الماضي وبعض التسعينات. لكنها حتما اثقل واقسى واصعب. خلال السنوات الثلاث الاخيرة تقاتل اللبنانيون وانقسموا على كل شيء. ما تركوا شيئا الا وصدعوا البلد من اجله. لكنهم في المقابل - ولله الحمد - نجحوا في التوحد حول هدف واحد: الهجرة. فتقاطعت كل الظروف والاحداث التاريخية التي مر بها لبنان في فترة وضمن اشهر قليلة، مع فارق عدم سهولة تسهيل هجرتهم كالسابق الى بلدان عدة منها لاسباب سياسية، اضافة الى عامل وجود جائحة كورونا وما خلفته من تغيير في اقتصاديات العالم الذي لا يزال يعاني من نتائجها السلبية.

ما يحصل اليوم في لبنان من هجرة غير مسبوق بنوعيتها واعدادها. فهي تنوعت لتشمل الاكاديميين والمهنيين واصحاب الاختصاص والخريجين وميسوري الحال سعي الى الاستقرار. بعد التحركات الشعبية في تشرين الاول 2019 باشهر اتخذت غالبية الشعب اللبناني قرار الخروج من لبنان على اثر انهيار الوضع الاقتصادي وحجز اموال المودعين في المصارف، وارتفاع غلاء المعيشة المستمر بالتصاعد، وانهيار سعر صرف الليرة، والفراغ السياسي في معناه المجرد والمادي الذي يحول دون حل اي من المشكلات حتى بعد تشكيل حكومة. ما زاد من حدة القرار بالهجرة كارثة تفجير مرفأ بيروت في الرابع من آب 2020 حيث التحول الدراماتيكي الذي ثبتت معادلة انسداد الافق، وواقع ارتفاع نسبة الفقر والبطالة التي قدرتها احصاءات الاسكوا بـ55 في المئة.

فقد البلد ميزات عدة كانت ملاذاً آمناً لسكانه، وعامل استقطاب هاماً للمغتربين وللوافدين اليه. فالاهتراء الذي شهدته مؤسسات الدولة، والتخبط المالي والصراعات السياسية انعكست بشكل سلبي جدا على رافعة وميزة ووجود لبنان، كالقطاع الطبي، الذي كان حتى في فترة الحروب، قطاعا حاضرا وفعالا وغنيا بالخبرات البشرية من جهة، وبالوسائل الحديثة من جهة اخرى. خسر لبنان هذه الميزة، فهاجرت الطواقم الطبية بكل مستوياتها اطباء وممرضين. اما الرافعة التعليمية للبنان فقدت كل اسسها، وفرغت من معظم اساتذتها ومن اكثرية تلاميذها ومن التقديرات المختصة بالابحاث والتطور العلمي.

"موسم الهجرة" من لبنان هو في الحقيقة موسم "هجرة الادمغة". وتطغى عملية تفريغ مخيفة للاكاديميين واصحاب الفكر واصحاب الشهادات والكفايات والعمال الحرفيين والمهرة في شتى المجالات. ولم تقتصر الهجرة على فئة عمرية بعينها بل اشتملت على كل الاعمار وحتى عائلات بكاملها.

من المفارقات التي لا تحصل ربما الا في لبنان، ان الهجرة لا تأتي على خلفية الهروب من الحرب والقصف، وانما هربا من "تعاسة العيش" في بلد تسابق مع عقارب الساعة في الإنهيار، وكان له في كل اشراقة شمس انزلاقة معيشية صادمة، ترافقت مع انعدام اي امل في الانفراج والحل والخروج من قاع البأس.

انه وقت الرحيل...والاخطر ان الهدف لا يقتصر على هروب موقت بل على هجرة دائمة. فبطاقة السفر للذهاب، حيث ان الاياب الى الوطن يحتاج سنوات او عمرا بكامله ريثما تستعاد الثقة ويعود الوطن الى حضن ابنائه لا العكس. يمر لبنان في اسوأ مراحل التاريخ على الاطلاق، حيث ان المجهول وحده من يتحكم بمصير من لم تسعفه الظروف للهجرة. من لم يرحل فإنه يستعد، ومن لم يستطع فإنه يعيش الحلم.

"الامن العام"